Journal of Alasmarya University
Volume 11, June 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الحادي عشر، يونيو 2009

الدلالات التربوية لبعض وصايا الإمام عبد السلام الأسمر

د. "محمد أمين" حامد القضاة*

مقدمة

يعد الإمام عبد السلام الأسمر (880- 981هـ) علم من أعلام الشمال الأفريقي في القرن العاشر هجري. وهو العارف بالله، المحافظ على طاعة ربه، المعرض عن الانهماك بالذات، ولقب الأسمر أطلقته عليه والدته لمبيته الليالي سمراً في طاعة الله. وكان مولد الإمام في بلدة زليطن التي تبعد عن بنغازي حوالي 850 كم (العدوي، 2004).

وعاش الإمام بعصر كثرت به الطوائف، وتعددت المذاهب، لذلك كان هدف الإمام الأساس هو بناء جيل هدفه خدمة الإسلام والمسلمين، إذ كانت جماعة الإمام تدعو إلى الإسلام وتطبيقه، تضع بين عينيها إقامة الإسلام دنيا وديناً تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص: 77]. وعليه عملت مدرسة الإمام على بناء الشخصية الإسلامية كون اكتمال معطياتها يعني تطبيق الإسلام ونبذ كل ما يخالفه.

وبهذا أسس الإمام مسيرة التربية والتعليم وبناء الفكر التربوي السليم، أساس يبنى على دستور صالح لكل زمان ومكان، القرآن الكريم، إضافة إلى الحديث الشريف، وإلى ذلك يشير المؤرخ إسحاق المليجي (1969) بقوله: كانت مدرسة ابن سليم تهتم بتحفيظ القرآن الكريم ودراسته وانتشرت في رحابها حركات الدروس ومجالس التفسير.

---

* جامعة مؤتة، الأردن.

ومن أجل ذلك وحرصاً على التميز الممدوح -ضد التعالي- كان يوصي تلاميذه بقوله: إياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة والخوارق والمستدرجين، فإنكم لا تنالون منهم إلا الظلمة والشك في اعتقادات فلا تخالطوهم ولا تقربوهم قط. لأجل ذلك اعتمد الإمام منهجاً تربوياً غاية بالوضوح يبدأ من الإخلاص في العبادة شأنه شأن العلماء الكبار كالبخاري ومسلم ومن سار على نهجهم. فمدرسته كانت للعبادة والذكر والصلاة والتعليم وحفظ القرآن الكريم والحديث والفقه. والعبادة تحقق لصاحبها منهج حياة، وتحديداً لأهدافه، وغايته، علاوة على تنظيم العلاقات الاجتماعية.

لأجل ذلك، وبناءً للمناهج التربوية الصحيحة، وغرساً للقيم الإسلامية السامية في نفوس الناشئة، وفي سبيل بناء الأجيال المؤمنة الواعية التي تقرّ بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبالقرآن الكريم منهاجاً وبمحمد رسولاً، كان لا بد من الالتفات إلى دراسة الآراء والأفكار التربوية عند علماء المسلمين والذين أثروا بمجتمعهم علنا نقتفي أثارهم.

لأنه لا بد من تحديد الأخلاقيات والمبادئ الأساسية التي يلتزمها المجتمع الإسلامي، وتكون منطلقاً لتربية أبنائنا، ولا بد من دراسة المجتمع الإسلامي وتحديد الأخلاقيات الفاسدة، والقيم البعيدة عن روح الدين الإسلامي، والقيم المشوّهة التي شاعت بسبب من الجهل حيناً وسوء النية والقصد حيناً آخر، بغية محاربتها وكشف سوأتها وإحلال القيم الصالحة المتوافقة مع المنهج الإسلامي محلها.

وعليه كان لا بد من تعميق معالم الذات المسلمة في الشباب على أساس من الوعي بمكونات هذه الذات، وفق غرس النفس الأصيلة والاعتزاز بالمبادئ التربوية الإسلامية. وذلك بالعودة إلى كتب التراث للكشف عن الجوانب الثرية فكراً ومنهجاً، مما يمكن أن يصلح تربيتنا. ذلك أن الفكر التربوي الإسلامي له خصوصية ومنهجاً تختلف عن غيره، كون أصوله مستمدة من السماء وبالتالي فـ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]. لذا نجده يسمو بالروح والعقل معاً (مرسي، 1993). فلا يخفى أن هذا الفكر فكر ينبض بالحياة، كون التربية الإسلامية تربية متكاملة تهتم بجميع جوانب الشخصية الإنسانية، فهي تربية للجسم، وتربية للنفس والعقل معاً. وهذا التوازن يميزها عن غيرها (الجقندي، 1992).

ويرتأي الباحث أن لدراسة آراء المربين المسلمين - كالإمام عبد السلام الأسمر- التربوية أهمية بالغة في بناء الأيمان في النفوس بشكل يفضي إلى تهذيب السلوك

الإنساني وفق مبادئ المنهج التربوي الإسلامي.فمن أراد أن يفهم الأنظار التربوية والاتجاهات التربوية والنظم التربوية الحديثة والمتجددة التي نعيش اليوم في قلبها، فهي وليدة مخاض تاريخي طويل وتجربة إنسانية بعيدة الجذور تحمل دوماً شكل الإناء الذي ولدت فيه منذ القدم وهي نضج متراكم عبر الزمن وجهد موصول على ممر الأيام، وقد لا نفقه معنى الكثير من ثمرات التربية الحديثة إذا لم نعرف أصولها وجذورها التاريخية؛ ومن هنا لا بد لنا من العودة إلى التراث العربي الإسلامي والعمل على إحياء هذا التراث بما يفيدنا في الوقت الحاضر وبناء المستقبل (عبد الدايم، 1981).

وعليه، فإن من المنطقي، بل من الضروري استلهام المبادئ التربوية التي يزخر بها الفكر التربوي الإسلامي، والاسترشاد بالرؤى السديدة التي يحفل بها المنهج التربوي الإسلامي والتي تمثل كتابات العلماء معيناً لا ينضب ومصدراً رئيساً للمبادئ التربوية الإسلامية. كل ذلك لإثارة الإيمان الساكن في القلوب وجني ثماره وآثاره في الفرد والمجتمع ليحيا الناس جميعاً في ظلال قلوب ساكنة. وأرواح سامية وأفئدة اجتمعت على الحق، ويسير الركب صعداً إلى الأمام.

ومما يُلاحظ أن هناك ندرة حقيقية في الدراسات العلمية التي حاولت التعرّض لهذه الجوانب التربوية لدى علماء المسلمين والذي يمثل الإمام الأسمر أحدهم، وهذا ما لمسه الباحث أثناء بحثه عن كتابات خاصة بالإمام. مما ينعكس بشكل خاص في الغياب الواضح لمعالم أراء علماء المسلمين التربوية مما فوت فوائد جمة حرمت منها مناهجنا التربوية.

ويرى الباحث أن إمكانية البحث في هذا المجال ما زالت خصبة، لأن الدراسات في هذا المجال ما زالت قليلة ولهذا جاءت هذه الدراسة لتكون محاولة جادة من أجل رفد وتعزيز الدراسات السابقة من خلال البحث في الدلالات التربوية لبعض وصايا الإمام عبد السلام الأسمر، وذلك بهدف إثارة اهتمام المسؤولين في القطاع التربوي بالإقبال على هذه الدلالات بالدراسة والتطبيق.

مشكلة الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل الدلالات التربوية لبعض وصايا الإمام عبد السلام الأسمر، واستخراج المبادئ التربوية للمدرسة الأسمرية من خلال الإجابة على السؤال الرئيسي: ما الدلالات التربوية لإمام عبد السلام الأسمر الواردة في وصاياه؟.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة من التالي:

- رسم طرق المعالجة التربوية الصحيحة للمشكلات التي تواجه الفرد والمجتمع في ضوء القواعد التربوية التي رسمها الإمام عبد السلام الأسمر لتشكل مرجعية يرجع إليها عند الحاجة.
- الإسهام في بناء منظومة أخلاقية من خلال آراء الإمام ليتبعها المربون للأفراد والمجتمع.
- تقديم تغذية راجعة للمهتمين بتربية الأفراد في مجتمعنا العربي والإسلامي.

التعريفات الإجرائية

الدلالات التربوية: الآراء والإشارات التربوية والتي تظهر من خلال وصايا الإمام عبد السلام الأسمر.

منهجية البحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي في استنباط الدلالات التربوية لوصايا الإمام. حيث سيقوم الباحث بـ:

1. تحليل وصايا الإمام.
2. استخلاص الدلالات التربوية ضمن الإطار التربوي الذي تحدده الوصايا الكريمة.

الجوانب التربوية لبعض وصايا الإمام الأسمر

يزخر الإرث الذي تركه الإمام بوصايا كثيرة وجهها إلى مريديه. وقد وجد الباحث أثناء البحث والتقصي ومحاولة تحليل هذه الوصايا أن هذا الأمر يحتاج إلى جهد كبير لا يمكن الإحاطة به ببحث واحد بل يحتاج إلى تكاتف الجهود على مستوى البحث بأطروحات الماجستير والدكتوراة. ولقد كان البحث الحالي محاولة للإجابة عن سؤالين رئيسيين يتمحور الأول عن الدلالات التربوية لبعض وصايا الإمام والأخر عن المبادئ التربوية للمدرسة الأسمرية، ولكون ذلك -كما ظهر للباحث- تصعب الإحاطة به في بحث واحد ارتأى الباحث أن يختصر البحث على الإجابة على السؤال الأول.

وعليه فإن هذا الجزء من البحث هو محاولة الإجابة على سؤال الدراسة: ما

الـدلالات التربـوية لإمـام عـبد السلام الأسمر الواردة في وصاياه؟. وهي في ذات الوقت النـتائج الـتي توصـل إلـيها الـباحث مـن خـلال تحلـيل بعـض وصايا الإمام عبد السلام الأسمر.

لـذلك تـبدو أول توصـيات هـذا الـبحث أن يكـون هـناك مشروع بحثي ضخم للجامعـة الأسمـرية يهـتم بإبراز الجوانب التربوية لآراء الإمام عبد السلام الأسمر. وعليه فإن الباحث سيختار بعض الوصايا ويحللها تربوياً ومن هذه الوصايا[1]:

الوصية الأولى: التوبة

يـرى الإمام أن أهم أركان التوبة المبادرة بها، فإصلاح الأمور يكون بسرعة التوبة، وهـذا مـبدأ تـربوي حـضت عليه جميع المبادئ والاتجاهات التربوية القديمة والحديثة علـى حـد سـواء؛ فـالاعتراف بالـذنب فـضيلة وتـركه غنيمة، ومن هنا جاء الحض على الاستغفار في شرعنا الحنيف.

يقـول الإمـام عـبد الـسلام الأسمـر لمريديه: إخواني: والتوبة واجبة عليكم فتوبوا علـى الفـور، قـال الله تعـالى ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجـرات: 11]. إخواني: اغتنموا التوبة قبل الفوت واغتنموا الحياة قبل الموت.

وهـنا يلتقـي الإمـام مع الإمام الرازي (1997م) الذي يرى على الإنسان أن يكون منشغلاً بالتوبة في كل حين، فالقلب لا ينفك عن الخطرات والخواطر والشهوات وأنواع الميل والإيرادات فعليه الاستعانة بالرّب سبحانه في دفع الخواطر.

وارتـباط اسـم الله التوّاب باسم الله الرّحمن في جميع الآيات التي ذكرت اسم الله الـتوّاب، والجمـع بـين الاسمين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران وهذا ما تشير الآيات القرآنية (القضاة، 2003).

والتدلـيل على ذلك يأتي من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقـرة: 37]، ففـي الجملـة الاسمـية ما يقوي رجاء المذنبين، ويجبر كسر قلوب الخاطئين حيث افتتحها بأن وأتى بضمير الفصل وعرف المسند وأتى به من صيغ

1- أخذت هذه الوصايا من الموقع الإلكتروني لمجلة الزهراء والتي كتبها سيد عبد اللطيف الضعيفي في 11:36 صباحاً: http://alzahramagazine.maktoobblog.com

المبالغة إشارة إلى قبوله التوبة كلما تاب العبد وجمع بين وصفي كونه تواباً وكونه رحيماً إشارة إلى مزيد الفضل، واسم الرّحيم هنا إشارة إلى الترحم والتفضل فالله سبحانه هو التوّاب الذي يقبل التوبة مهما يذنب العبد ويندم ويتب يتوب الله عليه، وهو الرّحيم بعباده، مهما يسيء أحدهم بما هو سبب لغضبه تعالى ويرجع إليه فإنه يحفه برحمته (الألوسي، 1999م؛ رضا، 1999م).

وحتى تقبل توبة العبد لا بد من الأخذ بأسباب القبول، وأسباب القبول تعرف من قصة آدم عليه السّلام، فآدم أكل من الشجرة المحرمة، وعندما علم أنه أخطأ وعصى لم يصر على المعصية، ولم يرد الأمر على الأمر، ولكن قال ربي أمرك ومنهجك حق، ولكن لم أقدر على نفسي فسامحني. اعترف بذنبه، واعترف بضعفه، وأقرّ بأن المنهج حق، وطلب التوبة من الله سبحانه وتعالى، بعكس إبليس الذي رد الأمر على الآمر، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: 12]، وقال: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]، وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: 82-83]، لم يعترف بذنبه لكنه عاند الله سبحانه وتعالى وقال سأفعل كذا وسأفعل كذا، وهذا كفر بالله.

لذا، إياك أن ترد الأمر على الله سبحانه وتعالى، فإذا كنت لا تصلي فلا تقل وما الفائدة من الصلاة، وإن لم تكن تزكي فلا تقل تشريع الزكاة ظلم للقادرين، وإن كنت لا تطبق شرع الله فال تقل إن هذه الشريعة لا تناسب العصر الحديث. ولكن قل إن الصلاة حق وتطبيق الشريعة حق لكن لا أقدر على نفسي فأرحم ضعفي يا رب العالمين، إن فعلت ذلك تكن عاصياً (الشعراوي، 1991م).

ذلك أن باب التوبة مفتوح، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 160] فنافذة التوبة مفتوحة لكل عاصٍ، يفتحها فيتنسم نسمة الأمل في الصدور وتقود القلوب إلى مصدر النور، فلا تيئس من رحمة الله، ولا تقنط من عفوه فمَن شاء فليرجع إلى الحمى الآمن، صادق النية، وآية التوبة الإصلاح في العمل والتبيّن في القول وإعلان الحق والاعتراف به والعمل بمقتضاه ثم ليثق برحمة الله وقبوله للتوبة وهو يقول: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (قطب، 1994م).

وإلى ذلك يشير الإمام الأسمر حين قال: إخواني: ومن شروط التوبة: الندم على ما فات وينوى التائب أن لا يعود إلى ذنبه فيما بقى من عمره ويترك المعصية من ساعته

التي تاب فيها ولو كان متلبسا بها ويرد المظالم إلى أهلها ولو كانت في عضو أو قتل نفس. إخواني: فمكنوا أنفسكم من الذي وقعتم فيه أو من ورثه المقتول إن كانت نفسا والعياذ بالله.

فالإنسان ضعيف قد يضعف أمام المعصية، وليس معنى ذلك أن يطرده الله سبحانه وتعالى بل هو يقنن التوبة، وتقنينها للعاصي دليل على أنه سبحانه وتعالى لم يخرج الذي اختار الإسلام وعصى من حظيرة الإسلام، ولو لم يقنن الإسلام التوبة لصارت اللعنة مصير كل من يضعف أمام شهوة، ولصار العاصي متمرداً يلغ في أعراض الناس ويرتكب الشرور، لذلك تتآزر الآيات لطرد اليأس من القلوب مهما ثقلت الذنوب، وكثرت الآثام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

وحتى يكتمل المنهج التربوي في إصلاح الفرد، وإنابته إلى الله سبحانه وتعالى، تتآلف التوبة مع العقوبة في صورة فريدة، لا نجدها إلا في المنهج التربوي الإسلامي، ذلك أن التوبة رحمة بالمجتمع كما هي رحمة بالعاصي، فالإنسان إذا عصى وعرف أنه لا توبة له فإنه محكوم عليه بالخلود بالنار يتمادى في إجرامه إذ لا أمل له بالنجاة، والمتضرر هنا المجتمع، لذلك جاءت التوبة من الله للعباد، لأن المعصية وإن كانت ذات لذة آنية، فإن حلاوة الإيمان تجذبه مرة أخرى إلى الإيمان بعيداً عن المعاصي، لذلك فإن التوبة تعني غفران الذنب، وإبدال السيئات حسنات (القضاة، 2003).

وحتى تكتمل التوبة يقول الإمام: إخواني: ومن شروط التوبة: غض الأبصار عن المحارم. ومن شروط التوبة: اجتناب جميع المعاصي والجرائم. إخواني: وأكبر فساد الدين النظر إلى المحرمات وهو النساء الأجنبيات ففروا منهن وغضوا إبصاركم من النظر إليهن. إخواني: إياكم والجلوس في ميعادهن. إخواني إخواني إخواني: فمن لم يغض بصره من الفقراء عن ذلك فقد نقض عهد الله وعهدنا. إخواني: والمحارم بحر لا قعر له ولا قرار له، وغض البصر سفينة فمن غض بصره ركب السفينة ونجا من الغرق ومن لم يغض بصره فقد هلك وغرق في بحر لا ساحل له. إخواني: فخذوا حذركم من النسوان ومخالطتهن والنظر إليهن والتلذذ بكلامهن، والذكر معهن من أكبر الفتنة واكبر منه فتنة استماع زغاريتهن فاحفظوا جهدكم من مصائد إبليس اللعين. إخواني: والنساء للشيطان مثل الشبكة للصياد.

والمتتبع للمنهج التربوي الإسلامي يجده يحرص على منع كل ما من شأنه التأثير على نفوس أفراد الأسر المسلمة. فعمل على تهذيب كل ما يؤدي إلى إثارة الغرائز وإشاعة جو من الضغوطات المؤدية إلى الاضطراب، لذا نجد أن المنهج التربوي الإسلامي لم يتدخل إلا في الحالة التي تؤدي إلى اضطراب وضغوطات هي سبيل إلى وقوع الخطأ. فالإسلام يعلمنا كيف نقود أنفسنا لا كيف تقودنا أنفسنا. وحيث إن الشعور عند الإنسان أقسام ثلاثة: إدراك ووجدان ونزوع، فعند رؤية زهرة على سبيل المثال يحصل الإدراك وبعد رؤية الزهرة مباشرة يشعر الإنسان بالإعجاب وهذه مرحلة الوجدان، والملاحظ انه لا يوجد فاصل زمني بين مرحلة الإدراك والوجدان وبعد مرحلة الوجدان يهم هذا الإنسان بقطف الزهرة وهذا هو النزوع. والشرع لا يتدخل إلا في الأعمال النزوعية (المرحلة الأخيرة) إلا في أمر واحد تدخل به من أول المراحل وهو نظر الرجل إلى المرأة؛ لان المراحل هنا لا تنفصل أبداً لان النظر يحدث تفاعلاً. فلا بد من النزاعة وإلا فهناك حالة اضطراب نفسية، فإما أن ينزع الفرد فيرتكب الحرام أو لا ينزع فيؤدي إلى حالة الكآبة. من أجل ذلك تدخل الشرع من البداية فشرع الحجاب وغض البصر (القضاة، 2000).

إن النظام التربوي للمسلمين يحدد سلوكهم وحتى عواطفهم ويجعل للمد والجزر في السلوك الإنساني حدوداً واقعية، فإذا ما انحرف المسلم وجد مباشرة ما يقومه، فلا يتحلل ولا يتعصب ويجد أن للحرية أرضها السليمة التي يتحرك عليها الفرد المسلم الحر (السباعي، 1987م). كل ذلك لإقامة الأسر على المحبة والمودة والفضل والرحمة، وليكون شعار الأسر مع بعضها بعضاً الحب والتكامل والعدل.

وهذا ما حدا بالكاتبة الشهيرة (آنا رود) أن تقول في مقالة نشرتها في جريدة (ألا سترن ميل) ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر رداءً، الخادم والرقيق يتنعمان بأرغد العيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء.. نعم انه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية (يكن، 1988م).

لأجل ذلك قال الله تعالى في سورة النور ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 30-31].

وبغية إكمال الصورة لا بد من بيان مفهوم غض البصر. فالغض: النقصان، ويقال فلان يغض من قدر فلان أي ينقص من قدره. وغض بصره: كفه وخفضه وفي التنزيل العزيز ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: 19] (مدكور، 1984م).

فالمسلمون مأمورون بغض بصرهم فلا يتركونه يرى ما يحب وما لا يحب فالعين ليس لها الحرية في النظر، لأن النظر يمكن أن يؤدي إلى الميل والرغبة فهناك رغبة جنسية تهيج فلا بد من النزوع، وقد يكون هناك أذى للناس. لأن البصر بريد إلى ما وراءه دائماً. قال الشاعر أحمد شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

إن الله هو الأعلم بالتكوين، فأمر سبحانه بغض البصر لسد منافذ الفساد. فغض البصر لسد باب الفتنة، والفتنة ذريعة إلى وقوع المفاسد وانتهاك الحرمات التي نهى الدين عنها، إضافة إلى أن اعتياد عادة النظر المحرمة تؤدي إلى أذى المرأة العفيفة في مشاعرها، لهذا فإن المنهج التربوي الإسلامي يقي المرأة، ويصون الرجل من الوقوع في المعصية، ويوفر الأمن والهدوء والطهارة للأسر (المراغي، 1998م؛ فريد، 1985م؛ ابن عاشور، 1984م، ابن تيميه، 1983م).

فالنظر محرك للشهوة وباعث لها، وهو النافذة التي تنفذ من خلالها عوامل الميل والرغبة، ويزداد الأمر إذا رافق ذلك تكشف العورات وإظهار المفاتن. قال الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ففي سبيل وقاية الإنسان مما يحرك غرائزه ويستثير نوازعه أمر الإسلام بغض البصر وعدم تتبع العورات، وأمر بالحجاب وغض البصر درءاً للمفاسد و المعاصي.

ولغض البصر فوائد جمة، أورد ابن القيم (1997م) بعضاً منها:

أولاً: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شئ على

القلب إرسال البصر، فإنه بريد ما يشتد طلبه، ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

ثانياً: أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر بالعين وفي الجوارح كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمةً تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: 35]بعيد قوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: 30].

ثالثاً: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة، فالله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو منه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى على عمله إطلاق نور بصيرته فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

رابعاً: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها لبعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

خامساً: أنه يورث قوة القلب وشجاعته وثباته، فيجعل له الله سبحانه وتعالى سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

سادساً: أنه يورث في القلب سروراً وإشراقاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواها، وأيضاً فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء عوضه الله سبحانه مسّرة ولذّة أكمل منها ولا ريب أن النفس إذا خالفت الهوى أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذة أكمل من لذّة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وهنا يمتاز العقل من الهوى.

سابعاً: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواها، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب.

ثامناً: أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فالنظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه مانع الوصول، فمن هتك الحجاب وقع في المحظور، ولم تقف نفسه منه على غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها.

تاسعاً: أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فخاصية العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره.

عاشراً: أنه يخلص القلب من سكرة الشهوة ورقد الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب

استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة.

وبناءً عليه، فإن غض البصر نموذج من تقليل فرص الاستثارة والغواية والفتنة؛ لأن غض البصر أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على محاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما إن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم (فائز، 1994م).

لأجل ذلك لا يعد مستغرباً أن يركز مثل الإمام عبد السلام الأسمر على غض البصر، والابتعاد عن مواطن إثارة الفتنة والغريزة وبالتالي الانجراف وراء مطالب النفس وبالتالي الانغماس بالشهوات وعندئذ لا يملك الإنسان نفسه وتخرج عن السيطرة ويقع أسيراً لنفسه تأمره فيستجيب، وتضحي نفسه أمارة بالسوء، فتورده المهالك.

فالميل بين الرجل والمرأة يعد أمراً فطرياً، فهو عميق في التكوين الحيوي لأن الله قد ناط به امتداد الحياة، لذا فلا بد من المحافظة على هذا الدافع الفطري سليماً وبقوته الطبيعية بالحيلولة دون الاستثارة.

ذلك أن المنهج التربوي الإسلامي يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج به الشهوات في كل لحظة، فالنظرات المثيرة والزينة المتبرجة كلها تهيج الشهوة وتؤدي إلى أن يفلت زمام ضبط الإرادة والأعصاب. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض والاضطرابات النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة وهى تكاد تكون عملية تعذيب (قطب، 1994م).

ثم إلى ماذا أدى الاختلاط والحديث الطليق والاطلاع على مواطن الفتن المخبوءة؟ هل أدى إلى تهذيب الدوافع الجنسية وترويضها؟ أم أدى إلى الاستقرار والطمأنينة النفسية؟

يقول من زار الغرب: شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي، والاختلاط الجنسي، وبكل صوره وأشكاله، أن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها، إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع. وشاعت الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، و من التلهف على الجنس الآخر (المحجوب) شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه.. ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذي لا يقيده قيد ولا يقف عند حد، وللصداقات بين الجنسين تلك التي يباح معها كل شيء، وللأجسام العارية في

الطريق وللحركات المثيرة والنظرات الجاهرة واللفتات الموقظة.

إن إثـارة المـيل الفطـري بـين الـرجل والمـرأة هـو بمـثابة عملية تعذيب مستمر والطـريق المأمـون هـو تقلـيل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل بحدوده الطبيعية ثم يلبى تلبية حقيقية (قطب، 1994م).

فغـض البـصر إغلاق للفتنة ومحاولة للحيلولة دون الوقوع في المحظور، وحفظ الفـروج هو ثمرة غض البصر والحجاب، وهذا هو الأزكى للمؤمن، لأنه أطهر للمشاعر وأطهر للقلوب وأحفظ لحرماتها وأعراضها وأنقى لجوها.

إن الله هو العليم بالنفس البشرية، الخبير بما يناسبها، شرع النظم والأخلاق و أمر بـالآداب الـتي تعـود بالأثـر الطـيب والنواحـي التربوية الفضلى ليعيش الإنسان في راحة وطمأنينـة ورخـاء آمـناً علـى نفسه وعلى عرضه مما يؤذيهما لتكون الأسر في المجتمع المسلم فريدة مميزة.

وفي المقابـل نلحـظ العـصر الحـديث صـاحب النظـريات المـشجعة للعـري والاخـتلاط، عـاد يشكو من الإرهاق النفسي والحسي، لأنه لا غنى عن القيود والضوابط ليتم إشباع الغرائز ضمن طريق تربوي مشروع حتى لا يصطدم مع الفطرة. فالإسلام لم يـصطدم بالغريزة ولكنه التهذيب ووضع الطرق السليمة لها التي تكفل إشباعها بالحلال وإبعادهـا عـن الحـرام، فلقطـع دابـر الغـواية والفتـنة منع الإسلام الاختلاط لغير مقاصد العبادة والعلم والجهاد (يكن، 1988م).

واسـتكمالاً لـشروط التوبة، وبهدف جعل التوبة سلوكاً ذاتياً ينبع من داخل الفرد، وبغـية ترسـيخ معانـيها السامية في النفوس، ربط الإمام التوبة بالعقيدة وجعل من شروط الـتوبة: حفظ اللسان من الكلام القبيح وجميع فواحشه، وحفظ القلب من الاعتقاد الفاسد في حق الله عز وجل، وفى حق رسله وأنبيائه، وفى ملائكته وأوليائه وجميع خلقه.

وفي ذلـك احـتكام أنمـاط الـسلوك لمـبادئ العقـيدة فالقـيم والفـضائل والآداب التربـوية، وكافـة أنمـاط الـسلوك لا تـسود الأسـر ولا تـشيع في حـياة الناس، ولا تخط مجـراها في سـلوكهم العـام والخاص بالأوامر القسرية. ولكنها تحتاج إلى تربة صالحه تـنمو فـيها بـذورها، وترسـخ وتـتمدد جـذورها وتزهر نوراً يضيء حياة الأسر المسلمة (القضاة،2000م).

والعقيدة هي الأساس في دعم القيم والفضائل التربوية وغرس المبادئ والمثل العليا، والمتمثلة بغرس معاني الإيمان بالله وباليوم الآخر.. فإذا ضعفت عقيدة أمة فقد أصبحت كالشجرة المنبتة من أصولها المجتثة من فوق الأرض مالها من قرار، ومثل هذه الأسر لا بد أن تصاب بالتفكك والانحلال الموصل حتماً إلى الانهيار (القرضاوي، 1983م).

ولهذا الأسلوب أثره التربوي الواضح على الأفراد. فالعقيدة الإسلامية تجعل من السلوك عبادةً يتقرب الفرد بها إلى الله فيكون السلوك مستظلاً بظل أوامر الله سبحانه وتعالى ووفق الآداب التربوية الإسلامية وضمن منظومة القيم التي جاء بها المنهج التربوي في الإسلام؛ ذلك لأن المنهج التربوي الإسلامي يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادة سلوكية ثابتة وأدب تربوي ملزم للفرد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51] (قطب، 1994 م).

والإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهر أثره سلوكاً تربوياً متحركاً في عالم الواقع مترجماً لهذا الإيمان الذي يكفل الاستقامة على هذا النهج وإغفال المغريات.

ومن هنا فإن التربية الإيمانية لدى المربين والآباء والأمهات.. هي مسؤولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات.. بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام.. وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمُثل ولا لهدف نبيل.. بل يعيش ليشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات.. فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به، تصبح عنده الاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم ..؛ لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والرقابة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته.. كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة والتقاليد الفاسدة.. بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشُّقه المكارم والفضائل يصير خلقاً أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته.. (علوان، 1996م).

ويقول الإمام أيضاً وفي نفس السياق: إخواني: فلا تعتقدوا إلا ما يوافق الشرع

العزيز، ومن شروط التوبة: ترك سب المسلم وإهانته وضربه وتخويفه وزجره بغير وجه حق شرعي، ومن شروط التوبة: ترك سب جميع الناس إلا من يترتب في سبه مصلحة شرعية أو فاسقا مجاهرا بالمعاصي أو مدمن خمر أو زان أو متكبر أو تارك الصلوات. إخواني: ولا يحل للمسلم أن يبغض شيئا من خلق الله كلهم لأنهم منسوبون إلى الله وهم عبيد الله وحرمة العبد على قدر حرمة سيده.

كل ذلك كون للعقيدة أثر طيب في نفس الإنسان، وسلوكه وحياته، فبمجرد استقرارها في قلب المؤمن ووجدانه، تظهر آثارها في حياته وسلوكه، وحين تطمئن بها النفس، تجعل الإنسان في حركه دائمة إلى الخير والصلاح والفلاح فهي تربي في نفسه الوعي، واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق، وعدم الاستسلام للأهواء والاستقامة في السلوك. وفي ذلك أثر في ضمير المسلم وفي حياته بحيث يشعر أنه يعبد إلهاً واحداً، يرزقه، ويحفظه، ويراقبه، ويحاسبه، ويرعاه لا يغفل عنه طرفة عين، ويعلم السر والنجوى، فتستقيم جوارحه، ويطهر قلبه وتزكو نفسه وتتهذب طباعه وهذا هو مبتغى المنهج التربوي الإسلامي (المبارك، 1964م).

وفي جانب تربوي عظيم وهو محاسن الأخلاق يقول الإمام: إخواني: فعاملوا خلق الله باللين والرقة والشفقة والحنانة والنصيحة لهم ولا تبغضوا إلا من أوجب الله بغضهم مثل الكفار وشبههم.

ويرى الإمام أن مجمع محاسن الأخلاق هو عفو وإحسان لذلك أوصى مريديه قائلاً: إخواني: وعليكم بالعفو عمن ظلمكم وتعدى عليكم فأعفوا واصفحوا الصفح الجميل، قال عليه الصلاة والسلام: «من أراد الخلود في الجنة فليعف عمن ظلمه وليعط من حرمه». ويقول أيضاً: إخواني: ولا تستكبروا أن الله لا يحب المستكبرين ولا تتعصبوا بأجمعكم على أحد من المسلمين فهذا يضركم مع الله ومع رسول الله، فأعفوا عن من نازعكم وعن من ضربكم ولا تؤذوه، واتركوا الغيظ والنزاع المذموم فهذا كله ليس من شأننا ولا من شأن أهل طريقتنا.

وهذه إشارة تربوية هامة أقرها الله جلا وعلا بقوله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: 22].

وهذه دعوة من الله للمؤمنين للعفو والصفح عن المسيء وعدم التجاوز بالعقوبة

والكل يخطئ ثم يحب أن يغفر الله له، فليتعامل المؤمنون مع بعضهم البعض بهذا الذي يحبونه، إن العفو فضيلة أخلاقية وتربوية هامة في الحياة فالعفو يزيل ما في النفوس من شر، من أجل هذا حبب الإسلام إلى الإنسان العفو والصفح حتى في القصاص ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: 40] (القضاة، 2000).

ولهذا الهدف دعا الإسلام إلى مقابلة السيئة بالحسنة لأنها أكبر عامل لخلق المودة بين الناس. ذلك لأن الإنسان المسيء إذا رأى الإحسان ممن أساء إليه يلين قلبه ويتحول عما في نفسه إلى مودة: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: 34].

وسبب نزول الآية الكريمة أن أبا بكر كان ينفق على (مسطح بن أثاثه) لمسكنته وقرابته فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبداً فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ ﴾ [النور: 22] فقال أبو بكر: «والله إني أحب أن يغفر الله لي»، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: «والله لا أنزعها منه أبدا» (القرطبي، 1967م).

وبالنظر إلى سبب نزول الآية نرى أن المنهج التربوي الإسلامي يحرص على تعويد النفس على احتمال الأذى، فقد كان أبو بكر ممن تأذى من الإفك لأن عائشة زوج الرسول عليه السلام والمتهمة بالإفك ابنته. وكذلك فإن المنهج يقوم على التحذير من أن يكون الأذى قاطعاً وصارفاً عن فعل الخير.

ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر في نفس المخطئ وما لهذا المنهج في التربية يصلح النفس ويجعلها تنفر من عمل المنكرات ويحمي الأسر ويقيها من التهم، ويعمل هذا الأسلوب على تعويد النفس على احتمال الأذى وتحذيرها من أن تجعل منه صارفاً عن فعل الخير ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾ [فصلت: 12].

أما جانب التكبر والذي يحذر الإمام أتباعه منه فقد نعى الله على كل متكبر، فالتربية الإسلامية تجعل التكبير خلقاً مذموماً؛ فالتكبر من الصفات الخلقية التي يمقتها الله سبحانه وتعالى، لأن التكبر أول طريق الإنكار، أو ليس هو الذي منع كفار قريش من إتباع الرسول ﷺ، ومن قبله رسل كثر، قال الله تعالى على لسان قوم نوح المتكبرين: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ ﴾ [هود: 27] مما جعل جهنم

مثوى المتكبرين قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60]، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[2]، وبطر الحق: إنكاره تكبراً وترفعاً، وغمط الناس: احتقارهم وازدراءهم (القضاة، 2003).

من هنا كان الكبر وصف الله -الذي هو ليس بالمعنى السابق- ولا ينبغي لبشر أن ينازع الله وصفه المستحق له، وتكبر الناس إنما يعني جملة من الخصال الخسيسة في طليعتها جحد الحق، وجهل الواقع وسوء العشرة، وتجاوز القدر وتحقير الفضل وغير ذلك (الغزالي، 1997م).

من هنا ترادف النصوص القرآنية لتعزيز خلق التواضع، وتحريم التكبر، ففي وصايا لقمان لابنه جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 18-19].

وبنفي هذه الصفات عن الإنسان يكن متواضعاً ممدوحاً، وبتمثيلها يكن متكبراً مذموماً فالتصعير داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، وفي اختيار هذا التعبير من خلق يعد في أصله مرفوض، فشبه القرآن الكريم حركة الكبر وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار صعار.

والمشي في الأرض في تخايل وقلة مبالاة بالناس حركة يكرهها الله ويمقتها الخلق، وهي انعكاس لشعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء، لذلك لا بد من القصد وهو الاقتصاد وعدم الإسراف وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والاختيال، وكذلك يجيء القصد من الهدف، لأن المشية القاصدة إلى هدف لا تتلكأ ولا تتخايل إنما تمضي لقصدها ببساطة وانطلاق (قطب، 1994م).

والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق ويضع القرآن هذا العقل بصورة

2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (131).

محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]. (قطب، 1994م).

كل ذلك لأن التكبر إعجاب الإنسان بنفسه إعجاباً يدفعه إلى أن يرى نفسه أكبر من غيره، فيبطر الحق ويغمط الناس، ويظهر من نفسه ما ليس له، وكل من فعل ذلك فهو متبع للشيطان، ذلك الذي منعه كبره وتعززه بخلقه من النار واستهانته بخلقه الصلصال، فكان بتكبره أسبق الناس إلى المعصية، وكانت معصيته أصل المعاصي، وكذلك ما صرف الناس عن الهدى ودعاته إلا هذا الخلق، وشر التكبر الامتناع عن قبول أوامر الله وعدم الإذعان له بالطاعات وأداء العبادات (القضاة، 2003).

وهذا ما حدا بموسى-عليه السلام- إلى قول: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 27]. قالها واطمأن وسلم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد، كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب، فما يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب وهو يتصور موقفه خاسراً خاشعاً خاضعاً ذليلاً مجرداً من كل قوة، ماله من حميم ولا شفيع يطاع وذلك بسبب تكبره (قطب،1994م)، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»[3]، وقال ﷺ: «ألا أخبرتكم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»[4]، والعتل: الجافي شديد الخصومة بالباطل، والجواظ: المختال المتكبر.

لذا إذا عرف الإنسان كره الله لكل متكبر، التزم خلق التواضع فلا يرى لنفسه فضلاً ولا يشهد لنفسه حقاً ليس له، يرى الكبير خيراً منه لأنه عرف الله وأطاعه قبله، ويرى الصغير خيراً منه لأنه أقل منه معصية.

وطريق التواضع الخضوع لأمر الله والتذلل بين يديه فلا تتحقق العبودية لله عز وجل إلا بكمال الخضوع مع كمال المحبة، وكمال الخضوع يكون بمعرفة الله سبحانه بصفات الجلال وكمال المحبة يكون بمعرفة الله سبحانه بصفات الجمال (أدهمي، 1999م). وتكون

3- سنن أبي داود، كتاب اللباس، ما جاء في الكبر، حديث رقم (3567).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: 13]، حديث رقم (4537).

طـريقة كـذلك بالـزهد في الدنيا والتعالي عليها والتكبر عن كل ما يشغله عن الله، وعن كل معصية أمره الله سبحانه بالابتعاد عنها.

الوصية الثانية: الاستئذان

ففـي جانـب آخـر مـن الجـوانب التربـوية والتي غرسها الإمام في نفوس مريديه آداب الاستئذان؛ إذ يوصي أتباعه فيقول: إخواني: وإياكم أن تدخلوا بيوتا غير بيوتكم إلا أن تـستأذنوا مـن أهلها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَـدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡـتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: 27].

إخواني: لا يجوز لكم أن تدخلوا بيوت الناس مطلقا من غير مشورة أهلها إلا أن يأمروكم بالدخول.

إخواني: أيها الطائفة العروسية، لا يحل لأحد أن يدخل بيوتا من غير إذن ساكنها وأوليائها وأربابها ومواليها، قالوا المشايخ: إلا دار القاضي ونحوها.

إخوانـي: ولا يحـل لأحـد مـنكم أن يتجسس على المتكلمين ولو كانوا من أعدائه قطعا وقال شيخنا الدوكالي ﷺ: لا تسمعوا كلام المتكلمين ولا تجسسوا عليهم، فان ذلك حـرام ومـن علامة الشقاوة، قال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا التجسس والغيبة فان ذلك من أفعال أهل النار، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾ [الحجرات: 12].

وهذا الجانب التربوي أولته سورة النور عناية هامة[5]: قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَـدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡـتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِـدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [النور: 27-28].

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [النور: 58].

5- نقلاً عن القضاة، 2000م، قواعد التربية الأسرية التي تعرضها سورة النور وأثرها على المجتمع، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص 35-45.

هـذه آيـات تبني الأسرة على القيم التربوية، قيم الطهر والعفاف، والمحافظة على الأعـراض، فهـي تـصون الأسـرة مـن كـل مـا يـؤذيها، وتحفـظ أسـرارها وتصون الأمن والاسـتقرار للأسـرة وتـشكل هـذه التدابير درعاً واقياً من الفتنة. ولبداية الآيات وأسلوبها الخطابـي أثـر وأهمية تربوية، فخطاب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يحرك المشاعر الإيمانية، الـتي تقتـضي الخـضوع لله والتـزام أوامره واجتناب نواهيه فالذي يناديه الله سبحانه بهذه الـصفة، يـوطن نفـسه لمـا بعـد النداء ذلك لأن هذه الصفة محببة للنفس. والتكليف بأمر شـاق على النفوس يقتضي من الناحية التربوية محاصرة دوافع المخالفة النفسية من عدة جهات:

1. إثـارة الدوافـع الوجدانية والبواعث الداخلية في المخاطب، وقد حصل هذا بتحريك عنصر الإيمان وهو أقوى الدوافع الوجدانية في الإنسان.
2. خلـق الـشعور لـدى المخاطـب بأن الأوامر والتوجيهات التربوية ليس المقصود بها مخاطباً بعينه، إنما هي توجيهات لكل من يؤمن بهذا الدين.
3. إعلام المخاطب أن قيامه بالطاعات والالتزام بالسلوك التربوي الإسلامي يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة.

فالإيمـان محـرك وجدانـي، ومشاركة الناس في القيام بالتكاليف يصاحبها شعور بحـركة جماعـية تخفـف عـن الـنفس ثقـل العمل، وشعور ممارس الأوامر التربوية بأن العمـل هو لمصلحته محرك ودافع نفسي ذاتي يرغب في ممارسة العمل، وينشط النفس لـه ويـشحن الهمـة والعـزيمة بقوى إضافية للقيام به والالتزام بالقواعد التربوية (حبنكة، 1979م).

والاسـتئذان: طلـب الإذن، والإذن في الـشيء إعـلام بإجازتـه والرخـصة فـيه (الأصفهاني، 1997م؛ ابن منظور، 1993م). أما الاستئناس: وهو من الأنس (بالضم) وهو ضد الوحشة، ويعني الملاطفة وإزالة الوحشة (مصطفى، 1980م).

ومـن التعـريف الـسابق نجـد أن المـراد مـن الاسـتئذان هـو إشـعار أهـل البيـت وإعلامهـم بالحـضور، وحـصول الإذن بالدخـول. أمـا الاسـتئناس فهـو أمـر وجدانـي، وإحـساس داخلي يحس به المرء الزائر سائلاً نفسه هل من أزور يرحب بالزيارة أم لا؟ فهـو فعـل صـاحب بصيرة وذوق يختار به الوقت الملائم للزيارة، وهو أعم وأشمل من الاسـتئذان، ولتحقيق الاستئناس لا بد من مقدمات أهمها الاستئذان ورد السلام واستعداد أهل البيت لاستقبال الزائر.

وللاستئذان آداب تربوية لابد من مراعاتها هي:

1. رد السلام: روى أبو داود أن رجلاً من بني عامر استأذن على النبي عليه السلام وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: « اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم. أأدخل؟. فأذن له النبي عليه أفضل الصلاة والسلام »[6].
2. أن يستأذن ثلاث مرات: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع »[7].
3. أن يتحول عن الباب عند الاستئذان حتى لا تقع عينه على مالا يجب أن يراه. فقد جعل الاستئذان من أجل البصر. قال عليه الصلاة والسلام: « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر »[8].
4. أن يعدل عن الدخول إذا قال له صاحب البيت ارجع. قال تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور: 28].
5. أن لا يرفع صوته فوق حاجة المخاطب، وأن لا يطرق الباب طرقاً شديداً وأن يفصل بين الطرقات الثلاث بما يكفي من الوقت ليستطيع من كان مشغولاً أن يرد (علوان، 1996م).

إن القرآن الكريم وهو يقيم العلاقة بين أفراد الأسر المسلمة يراعي أحوالها وظروفها. لأن الإنسان يمر بأحوال لا يستطيع معها استقبال الآخرين، فهل يستقبل الزائر وهو ضيق النفس؟ أم يقول للزائر ﴿فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ وهو الأدب التربوي الذي يعلمنا رب العالمين؟.

من أجل ذلك أدبنا القرآن بآداب تربوية نافعة في بقاء الود وحسن العشرة بين المسلمين، فأمرنا ألا ندخل بيوت غيرنا إلا بعد الاستئذان والسلام، حتى لا يطلعوا على عورات سواهم، ولا ينظروا إلى ما لا يحل لهم النظر إليه (المراغي، 1998م؛ ابن تيميه، 1983م).

6- رواه أبو داود في كتاب الأدب باب كيف الاستئذان، حديث رقم 5176.

7- أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، حديث رقم 6245. وأخرجه مسلم في كتاب الآداب باب الاستئذان، حديث رقم 5593.

8- رواه البخاري في كتاب الاستئذان، في باب الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم 6241.

فعلى المرء ألا يكون عبئاً على غيره، أو أن يعرض نفسه للكراهية والاستثقال، فلا بد من أن يكون الزائر والمزار متوافقين، متآنسين، وفي هذا عون على تحقيق الأخوة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [يس: 12] النور: ٢٧.

إن اعتناء المنهج التربوي الإسلامي بآداب الاستئذان بشقيه داخل الأسرة وخارجها وهي لفتات تربوية هامة، فكما قرر القرآن حرمة أعراض الناس بصونه لأعراضهم وحفظه لكرامتهم، قرر حرمة البيوت المسكونة؛ لأن الولوج دون إذن يوقع التهمه، والإسلام لا يعتمد على العقوبة لإنشاء المجتمع النظيف إنما يعتمد مبدأ الوقاية، فالفكرة السائدة في منهج التربية الإسلامية هي تضييق فرص الغواية وإبعاد عوامل الفتنة، فللبيوت حرمه لا يجوز المساس بها، وهي سكن يفيء الناس إليه فتسكن جوارحهم، وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ولا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم (قطب، 1994م).

وهذه الآداب لا تقتصر على البيوت فالحجرات الخاصة بالموظفين كالبيوت يحسن الاستئذان عند دخولها كالمكاتب الخاصة، والشركات، والعيادات الخاصة فلعل صاحبها يكون مشغولاً وهذا بلا شك أحفظ للوقت وأدعى للعمل (حجازي، 1992م).

من هنا فالأثر التربوي للاستئذان يكون بتنشئة الفرد على الحياء الممدوح والآداب السلوكية التربوية الرفيعة، وبالتالي، يكون الفرد النموذج الحي للخلق الكريم والأفعال الحميدة والأدب التربوي الكامل. من أجل هذا كان التعبير عن الاستئذان بالاستئناس لبيان لطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث أنسا واستعداداً لاستقباله.

وللاستئذان داخل البيوت أهميته التربوية، فلا بد للطفل المميز الذي لم يبلغ الحلم أن يستأذن حتى لا يقع نظره على عورات أهله، وهو أدب تربوي يغفله الكثيرون في حياتهم الأسرية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ضانين أن الصغار لا ينتبهون لهذه المناظر، في حين يقر بعض علماء النفس أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم تؤثر على حياتهم مستقبلاً (قطب، 1994م).

وكم يكون الوضع سيئاً عندما يدخل الولد إلى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في حالة اتصال جنسي غير متخذي الحيطة والحذر، ثم يخرج ويحدث أصدقاءه بما رأى؟ وكم يكون الولد منذهلاً كلما عادت الصورة إلى ذهنه وتخيل المشهد في خاطره؟ وكم

ينحرف الولد إذا تحسس الميل إلى الجنس الآخر وسبق أن رأى كيف يكون الاتصال، وتتم اللذة؟ (علوان، 1996م).

وبناءً على ذلك، فإن المنهج التربوي الإسلامي يراعي الجوانب الاجتماعية والنفسية للفرد ولأسرته، إذ قرر أن العورات لا تقتصر على عورات البدن فهناك عورات أخرى كعورة الطعام.. وعورات المشاعر والحالات النفسية، فمن منا يحب أن يراه الناس باكياً في حالة ضعف؟ وما هو وضع من تكشف ستره لغيره؟ وما أثر ذلك على نفسه؟ ألا ينطبع في نفس من تكن تلك حاله ضيق وحرج أن انكشفت عوراته، مما يؤدي إلى أن لا يشعر بالألفة والمودة تجاه من كشف عورته. فكل هذه الدقائق يرعاها المنهج التربوي القرآني بهذا الأدب التربوي الجم ويراعي معها تقليل فرص النظرات السانحة و الالتقاءات العابرة (قطب، 1994م).

من أجل ذلك فان القرآن يقرر أن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم[9] عليهم أن يستأذنوا عند الدخول على أهليهم في أوقات ثلاثة هي: قبل صلاة الفجر، وحين وضع الثياب من الظهيرة (وقت القيلولة)، وبعد صلاة العشاء.

فهذه أوقات الراحة للإنسان غالباً، يترك النفس على سجيتها استرخاءً وتمتعاً فليس لأحد أن يقطع وقت هذه الخلوة ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: 58]، وفي غير هذه الأوقات يجوز لمن لم يبلغ الحلم أن يدخل دون استئذان ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ [لنور: 58]، أما إذا بلغ الطفل الحلم فيجب عليه الاستئذان في جميع الأوقات كغيره.

وعلى المربين تعليم أبنائهم آداب الاستئذان ليتحلوا بالأخلاق التربوية الفضلى، ويتمسكوا بالسلوك الخيِّر. وللاستئذان فوائد عدة منها: تحقق الطمأنينة والسكينة للأسر المسلمة، وصون حرمة البيوت، ومنع انكشاف العورات، و حماية الأفراد من الاضطرابات النفسية الناتجة عن رؤية مناظر تؤثر في الأطفال خاصة.

لهذا بين القرآن الكريم أنه بعد الاستئذان إن لم يأذن أهل البيت فلا دخول. وإنما الرجوع والانصراف فهو الأزكى والأطهر للنفس دون شعور بالضيق فللناس أعذارهم ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: 28].

9- الحلم: أن ينضج الإنسان نضجاً صالحاً لإنجاب مثله، وحلم الصبي أي أدرك وبلغ مبلغ الرجال (المعجم الوسيط، صفحة 201).

أما الجانب التربوي للطلب من الأبناء التزام آداب الاستئذان فيوضحه قوله الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [النور: 58-59].

يلاحظ من الآية أنها توجب على المؤمنين أن يأمروا غيرهم بالاستئذان فعليهم أن يأمروا الأطفال بتطبيق الآداب التربوية، علماً بأنهم غير مطالبين بتطبيق أوامر الشريعة حتى يبلغوا الحلم. وهذه لفتة تربوية غاية في الأهمية، فقد أمر الله البالغين أن يكلفوا الأطفال وذلك لتوالي الدربة عليهم. بمعنى تعويدهم وتدريبهم ليسهل الأمر عليهم حتى إذا جاء عهد التكليف تكن سهلة عليهم، وهذا يشبه قوله ﷺ: « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم وهم أبناء عشر »(10).

فلا بد من أن نبدأ بتعليم الأطفال وهم في سن مبكرة، ذلك لأن الطفل في سن مبكرة يتعلم ويستقبل بصورة أفضل، وهذا ينسجم مع ما حددته المدارس التربوية بأن سن السادسة هو أفضل عمر للتعليم إذ يكون فيه الطفل قادراً على استقبال المعلومات ومعالجتها.

يقول الرازي (1992م) « إنما يؤمر بذلك على وجه التعليم والقيادة ويتمرن عليه فيكون أسهل عليه بعد البلوغ وأقل نفوراً منه، لذا فيجب أن ينهى عن سائر المحظورات لأنه لو لم يمنع عنه في الصغر لصعب عليه الامتناع بعد الكبر ».

وهذا هو المنهج التربوي الذي اتبعه عليه السلام فنجده يوجه الأطفال المميزين ويعلمهم آداب الطعام والتيامن والاستئذان، وغيرها من الآداب العملية في حينها وفي مناسباتها ليطبقوا ذلك عملياً، لتصبح فيما بعد عادات سلوكية فردية بدايةً واجتماعية نهايةً، فقد روى أنس ﷺ قال: كنت خادماً للنبي عليه الصلاة والسلام قال: فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوماً فقال: كما أنت يا بني، فإنه قد حدث بعدك أمر لا تدخلن إلا

10- رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة باللفظ السابق وبزيادة: « وفرقوا بينهم في المضاجع » حديث رقم 495، وحكم عليه الألباني بالصحة في كتابه إرواء الغليل، حديث رقم 247.

بإذن[11]. وهكذا فقد أمره عليه السلام بتطبيق الأدب التربوي الذي جاءت به الآية الكريمة فور نزولها.

ويرى ابن مسكويه (1981م) أن «الأخلاق التربوية تكتسب بالتعليم والتهذيب والنصح المستمر حتى تصير ملكةً، فالإنسان مطبوع على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ إن سريعاً أو بطيئاً -وهو ما يراه حقاً- ولا يجوز ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جداً»

وفي ضوء ما تقدم من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

1. إيجاد مشروع بحثي ضخم للجامعة الأسمرية يهتم بإبراز الجوانب التربوية لأراء الإمام عبد السلام الأسمر.
2. ضرورة تعليم وتربية الأبناء على القيم التربوية التي حوتها الوصايا الإمام وتنشئتهم النشأة الصالحة القائمة على القواعد التربوية الإسلامية منذ نعومة أظفارهم، وأن على أولياء الأمور بالاهتمام بأعمالهم وأقوالهم وسلوكياتهم لأنهم قدوة لأبنائهم.
3. إجراء دراسات تربوية متخصصة لكل وصايا الإمام لتجلية المفاهيم والمبادئ التربوية والتعليمية، إضافة إلى إجراء دراسات تربوية تاريخية تبين كيفية تطبيق الإمام وتلاميذه المبادئ والقواعد التربوية الإسلامية في حياتهم التعليمية.

11- أورده الطحاوي في شرح معاني الآثار، باب نظر العبد إلى شعور الحرائر، الجزء الرابع، ص333.

المراجع

1. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، 983ا، تفسير سورة النور، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن، عاشور، 1990، التحرير والتنوير، الدار السنوسية للنشر، تونس، ج18.
3. ابـن مـسكويه، 1981، مـن تهـذيب الـتهذيب، تحقـيق أحمـد بـن محمـد يعقـوب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية.
4. أبو داود، سليمان بن الأشعث، 1998، سنن أبي داود، ابن حزم، بيروت.
5. أدهمـي، ريـاض، 1999م، الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، ط1، المكتب الإسلامي، عمّان.
6. الألوسـي، محمـود، 1999م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد أحمد وعمر عبد السّلام، ط1، دار إحياء التراث، لبنان.
7. الـبخاري، محمـد بـن إسماعـيل، صـحيح الـبخاري ومعـه فتح الباري، دار الفيحاء، دمشق، سورية.
8. الجقندي، عبد السلام،1992، التربية الإسلامية وأثرها في تنشئة الأطفال، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، العدد التاسع، ص ص 567-885.
9. الجـوزية، ابـن القـيم، 1999، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق محي الدين ديب، دار الكلم الطيب، دمشق، سورية.
10. حبنكة، عبد الرّحمن، 1979، الأخلاق الإسلامية وأسسها،دار القلم، بيروت.
11. حجـازي، محمـد، التفـسير الواضـح، ط10، مجلـد3، دار التفـسير للطـباعة والنشر، القاهرة، مصر.
12. الرازي، فخر الدين، 1997م، تفسير الرازي، ط2، دار إحياء التراث، لبنان.
13. رضـا، محمـد رشيد، 1999م، تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير المنار، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.
14. السباعي، يمان، 1987، الراقصون على جراحنا، ط4، دار البشير، عمان.
15. الشعراوي، محمد متولي، 1991م، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، مصر.
16. الطحاوي،أحمد بن حمد، 1979، شرح معاني الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت،ج4.
17. عبد الدايم، عبدالله، 1981، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين.
18. العـدوي، محمـد، 2004، الإمـام الفقيه عبد السلام الأسمر(880- 981هـ)، المكتبة المصرية، مصر.

19. علوان، عبدالله، 1996، تربية الأولاد في الإسلام، ط30، دار السلام للطباعة والنشر، مصر.
20. الغزالي، محمد، 1997م، خُلق المسلم، ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.
21. فائز، أحمد، 1994، دستور الأسرة في القرآن، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت.
22. فريد، فتحي، 1985، من أخلاق القرآن في سورة النور، مكتبة النهضة المصرية.
23. القرضاوي، يوسف، 1993، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت.
24. القرطبي، محمد بن أحمد، 1967، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ج12.
25. القضاة، محمد أمين، 2003، تطوير إطار مرجعي للدلالات التربوية لأسماء الله الحسنى، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية.
26. القضاة، محمد أمين، 2000، قواعد التربية الأسرية التي تعرها سورة النور وأثرها على المجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
27. قطب، سيد، 1994م، في ظلال القرآن، ط18، دار الشروق، بيروت.
28. المبارك، محمد، 1964، نحو إنسانية سعيدة، مطبعة دمشق.
29. مدكور، إبراهيم، 1984م، المعجم الوسيط، ط3، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة.
30. مرسي، محمد منير، 1993، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط2، عالم الكتب، القاهرة.
31. المراغي، أحمد، 1998م، تفسير المراغي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.
32. المليجي، اسحاق إبراهيم، 1969، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، طرابلس، ليبيا، سوق الترك.
33. يكن، فتحي، 1988، الإسلام والجنس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
34. موقع مجلة الزهراء الالكتروني:
http://alzahramagazine.maktoobblog.com